سُورَةُ النُّورِ

التّعريف العامّ بالسّورة:

سورة النّور كلّها مدنيّة

سورةُ النّور مَدَنيَّةٌ بِاتِّفاقِ أَهْلِ العِلْمِ، ولا يُعْرَفُ مُخالِفٌ في ذَلِكَ[1]، وآيُها اثْنَتانِ وسِتّونَ في العَدِّ المَدنيّ والمكيّ، وأَرْبَعٌ وسِتّونَ في عَدِّ البَقيَّةِ[2].

والمؤكَّدُ هنا أنَّها السّورة الرّابعة والعشرون في ترتيب المصحف الشّريف، تقع بين سورتيّ المؤمنون والفرقان حسب التَّرتيب التَّوقيفيِّ لسوَر القرآن الكريم، وذكر بعض المفسِّرين أنَّ ترتيبها النُّزوليَّ الثّانية والمائة، بعد سورةِ البيّنة، ونزلَ بعدها سورة المنافقون[3]، وذكر ابن عاشور أنّ ترتيبها النّزوليّ هو المائة، نزلت بعد سورة النّصر وقبل الحجّ عند من يرى أنّها مدنيّة[4].

فضائل السورة:

ورد في فضلها بضع روايات منها: ما أخرجه الحاكم في مستدركه عن عُمَرَ بْنِ الخَطّابِ ﷺ، يَقولُ: «تَعَلَّموا سورَةَ البَقَرَةِ، وسورَةَ النِّساءِ، وسورَةَ المائِدَةِ، وسورَةَ الحَجِّ، وسورَةَ النّور، فإنَّ فيهِنَّ الفَرائِضَ»[5].

وما ورد في حديث روته السيدة عائِشَة ﷺ، من قول النّبي ﷺ: « ... وَعَلِّموهُنَّ المِغْزَلَ وسورَةَ النّور»[6].

(1) ابن عطيّة، المُحرّر الوجيز: 4/ 160، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 12/ 158.
(2) الدّاني، البيان في عدّ آي القرآن، ص: 193.
(3) دَرْوَزَة، التّفسير الحديث: 8/ 352.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 140.
(5) الحاكم، المُستدرك على الصّحيحين: حديث رقم: (3493)، ثمّ علّق الذّهبيّ عليه بقوله: هذا حديث صحيح على شرط الشّيخين ولم يُخرجاهُ.
(6) الحاكم، المُستدرك، حديث رقم: (3494)، وعلّق الذّهبيّ: هذا حديث صحيحُ الإسناد ولم يُخرجاهُ.

دلالة التّوقيت الزّمنيّ لنزول السّورة:

نزلت سورةُ النّور مُنجَّمةً ومتفرِّقةً على أزمنةٍ ممتدّة، وقد ألحق بعضُها ببعضٍ على وجهٍ مترابطٍ ترابُطًا موضوعيًّا، ومن الشّواهد على تعدد أوقات نزولها ما ذُكِرَ في أسبابِ نزولِ قَولِهِ تَعالَى: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوۡ مُشۡرِكَةً﴾ المُتعلِّقِ بقَضيَّةِ مَرثدِ بنِ أَبي مَرثدٍ مَعَ عَناقَ؛ حيث اسْتُشْهِدَ في صَفَرٍ سَنَةَ ثَلاثٍ لِلهِجرَةِ في غَزوَةِ الرَّجيعِ، فيَكونُ أَوائِلُ هَذِهِ السّورَةِ نَزَلَ قَبلَ سَنَةِ ثَلاثٍ، والأَقرَبُ أن يَكونَ في أَواخِرِ السَّنَةِ الأولَى أَو أَوائِلِ السَّنَةِ الثّانيَةِ أَيّامَ كانَ المُسلِمونَ يَتَلاحَقونَ للهِجرَةِ، وكانَ المُشركونَ جَعَلوهُم كالأسرَى.

نزلت السّورة في ظروف متقاربة ومددٍ متطاولة

وَمِن آياتِها آياتُ قِصَّةِ الإفكِ وهي نازِلَةٌ عَقِبَ غَزوَةِ بَني المُصطَلِقِ مِن خُزاعَةَ، والأَصَحُّ أَنَّ غَزوَةَ بَني المُصطَلِقِ كانَت سَنَةَ أَربَعٍ؛ فإنَّها قَبلَ غَزوَةِ الخَنْدَقِ، ومِنْ آياتِها ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ﴾ الآيَةَ، نَزَلَت في شَعبانَ سَنَةَ تِسعٍ بعدَ غَزوَةِ تَبوكَ فتَكونُ تِلكَ الآياتُ مِمّا نَزَلَ بَعدَ نُزولِ أَوائِلِ هَذِهِ السّورَةِ[1].

يقول دَرْوَزَة: "فصول السّورة على تعدّدها مترابطة ترابطًا موضوعيًّا أو زمنيًّا؛ فالسّورة الكريمة عالجت عدّة مشكلات وقعت في العهد المدنيّ، وأجابت عن بعض التّساؤلات التي ثارت فيه، وكلّها قضايا متجانسة رغم تباعدها الزّمنيّ تتّصل بموضوعٍ محوريٍّ واحدٍ يهدف إلى استكمال سنن التّشريع الإلهيّ للمجتمع المسلم وتنظيم علاقات أفراده، وتطهيرهم من شهوات النّفس"[2].

أسماء السّورة الكريمة:

هَذِهِ تَسْمِيَةُ السّورةِ في المَصاحِفِ وكُتُبِ التَّفْسيرِ والسُّنَّةِ، ولا يُعْرَفُ لَها اسْمٌ آخَرُ[3].

سورةُ (النّور) لم تُسَمَّ باسمٍ غيرِه

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 139 - 140.
(2) دَرْوَزَة، التّفسير الحديث: 8/ 352.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 139.

وقد تكرر لفظ (النّور) في السّورة الكريمة سبع مرّات؛ خمسٌ منها في آية واحدة في قوله: ﴿۞ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [النّور: 35]، ومرّتان في قوله: ﴿أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النّور: 40].

ويمكن ربط اسم السورة بمحورها وشخصيّتها المميّزة لها، وهو ما نجد له إشارة في كلام الإمام البقاعيّ حيث جعل اسم النّور مرتبطًا بمقطعٍ من مقاطع السّورة يتعلّق بتبرئة أمّ المؤمنين عائشة ﵂ ممّا نُسب إليها، فقال: "مقصودها مدلول اسمها المودَعُ قلبها، المُراد منه أنّه تعالى شامل العلم، اللّازم منه تمام القدرة، اللّازم منه إثبات الأمور على غاية الحكمة، اللّازم منه تأكيد الشرف للنّبيّ ﷺ والطّهارة لأمّ المؤمنين عائشة ﵂"[1].

وذهب الدكتور وهبة الزحيلي إلى أنّها: "سميت سورة النور لتنويرها طريق الحياة الاجتماعية للناس، ببيان الآداب والفضائل، وتشريع الأحكام والقواعد".

بيان المحور العام للسّورة:

تعلق مقتضيات التّمكين بالوازع الأخلاقيّ

يتعلق المحور العام بتبرئة أمّ المؤمنين عائشة ﵂ التي مات النّبيّ ﷺ وهو عنها راض، وماتت ﵂ صالحة محسنة، وهذا هو المقصود بالذّات؛ ولكنّ إثباته محتاج إلى تلك المقدّمات[2]، وقد يحيلُ المحور

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 5/ 229.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 200.

الذي قامت عليه السّورة على التّربية بكلّ وسائلها لرفع المقاييس الأخلاقيّة لتتّصل بنور اللّه[1].

ومنهج السّورة الكريمة قائم على تربية المجتمع المسلم وتهذيبه، وهذه التّربية وجدانيَّة سلوكيّة تسعى لتبديد شهوات النّفس وظلمات القلب، بدءًا من الأسرة المسلمة التي هي اللّبنة الأولى في المجتمع، فشرّعت أحكامًا تهدف إلى تحقيق العفّة والسّتر ونشر الفضيلة التي هي أمّ الأخلاق كلّها.

موضوعات السورة وخصائصها:

جوامع السّورة يستغرق مقامات تشريعيّة وأخلاقيّة

اشتملت هذه السورة على أحكام مهمة تتعلق بالأسرة والمجتمع وعلاقته مع نفسه ومع اللّه تعالى، وهي على الترتيب الآتي:

الأول: تضمّنت السورة تشريعات بشأن جريمة الزّنا والقذف، في الآيات [1 - 3].

الثاني: بيان حكم اللعان عند الاتهام بالفاحشة أو نفي نسب الولد، في الآيات [4 - 10].

الثالث: ذكرت قصة الإفك المبنية على سوء الظن، والتسرع بالاتهام؛ لتبرئة أم المؤمنين عائشة ﵂، ومحاربة شيوع الفاحشة في المجتمع، في الآيات [11 - 19].

الرابع: نبهت السورة على خطوة اتباع خطوات الشيطان، مما يسبب قطع الأرحام، والدخول في أعراض الناس والابتعاد عن نور الشريعة الغراء، وذلك في الآيات [21 - 26].

الخامس: تحدثت السورة عن بعض الآداب الاجتماعية التي تنسجم مع ما قدمت ذكره من الأحكام، وهي الاستئذان عند دخول البيوت، وغض الأبصار، وحفظ الفروج، وإبداء النساء زينتهن

(1) شحاتة، أهداف كلّ سورة ومقاصدها، ص: 256.

لغير المحارم مما يدل على تحريم الاختلاط بين الرجال والنساء غير المحارم، وذلك في الآيات [27 - 31] [58 - 61].

السادس: حثت السورة على ضرورة قطع مسببات المعاصي، فأمرت بتزويج العزّاب من الرّجال والنّساء والمماليك، في الآيات [32 - 33].

السابع: بينت السورة أثر النّور الإلهيّ في تبديد ظلمات القلب ليحقّق التّمكين في الأرض؛ فتناول حال المؤمنين، وحال الكافرين الذين يعيشون في بحرٍ لجّيّ من الظّلمات، وبيّنت الآيات تسبيح الكون بحمده ﷻ في الآيات [35 - 38].

الثامن: كشفت السورة عن حال المنافقين من زاوية رفضهم الإذعان لما جاء به الله ورسوله ﷺ، وعادت الآيات لتكمل بعض الأحكام الأخلاقيّة للاستئذان الدّاخليّ ولأحكام المخالطة، مبيّنة حال المؤمنين في سرعة الاستجابة لله ورسوله ﷺ بخلاف المنافقين، وذلك في الآيات [39] [48 - 50].

التاسع: أعقبت السورة ذلك تنبيه النّاس إلى أدلّة وجود الله ووحدانيته في صفحات الكون من تقليب الليل والنهار وإنزال المطر وخلق السموات والأرض، وخضوع جميع الكائنات، وذلك في الآيات [40 - 47].

العاشر: ذكرت السورة حكم رفع الحرج عن ذوي الأعذار في الجهاد، وعن الأقارب والأصدقاء في الأكل من بيوت أقاربهم بلا إذن حالَ غيابهم عند خروجهم للجهاد، واستئذان المؤمنين الرسولَ ﷺ عند الانصراف، وتفويضه بالإذن لمن شاء، وتعظيم مجلسه ومناداته بأدب وحياء وتبجيل يليق به وبرسالته، في الآيات [62 - 63].

الخصائص الموضوعية لسورة النّور:

أوّلًا: امتازت سورة النّور بتناولها عدّة أحكام تشريعيّة مازتها عن غيرها وهي: أحكام الزنا، القذف، اللّعان، الاستئذان، غضّ البصر، حفظ الفرج، وأحكام الزّينة الخارجيّة والدّاخليّة للمرأة، وحكم نكاح الزّواني والمشركات، والمكاتبة، والبغاء، وربطت كلّ ذلك بالإيمان بالله والتّوحيد.

ثانيًا: تضمّنت سورة النّور آية فريدة وهي آية المشكاة[1]، فهي قلب هذه السّورة، والرّابط بين آياتها[2].

ثالثًا: تميّزت السّورة الكريمة بتناولها لآية التّمكين وهي قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [النّور: 55] وهذا مرتبطٌ بمحور السّورة القائم على الرّبط بين الصّلاح الأخلاقيّ والشّهود الحضاريّ للأمّة المسلمة.

الخصائص الأسلوبية لسورة النّور:

لسورة النّور عدّة خصائص أسلوبيّة مميّزَة بيّنت ملامح السورة وشخصيتها؛ ومنها:

أوّلًا: تميّزت السّورة الكريمة بمطلع فريد انفردت به عن غيرها من السّور، فلم تبدأ سورة أخرى بهذا البدء القويّ الحاسم الذي يحمل في طيّاته وعيدًا لمن لا يمتثل بما سيأتي بعده: ﴿سُورَةٌ أَنزَلۡنَٰهَا وَفَرَضۡنَٰهَا وَأَنزَلۡنَا فِيهَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لَّعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾.

ثانيًا: امتازت سورة النّور بعدد من التّشبيهات التّمثيليّة الخاصّة، ولا شكّ أنّ هذه التّشبيهات والاستعارات إنّما جاءت مرتبطة بشخصيّة السّورة الكريمة ومحورها الذي قامت عليه، فمنها:

ما جاء في وصف تلقّي بعض النّاس لخبر الإفك: ﴿إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ﴾ [النّور: 15].

وشبّهت نور الله تعالى في آية النّور تشبيهًا منتزعًا من صورٍ شتّى أوقعت أثرًا في قلوب المؤمنين لا يتأتّى زواله: ﴿۞ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٖۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [النّور: 35].

(1) سورة النّور: آية: (35).

(2) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 568.

وضربت السّورة الأمثال في وصف أعمال الكافرين فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٣٩ أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ٤٠﴾ [النّور: 39 - 40] حيث شبّه أعمال الكافرين بالسّراب، حيث لا ثواب ولا أجر له فيه؛ ووجه الشّبه هو توهّم أنّ ما يسعى له موجود[1].

وكذلك في قوله: ﴿أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ﴾ [النّور: 40] فهذا التّمثيل بيّن التّخبّط الذي يعيشه الكافر في حياته، فكان كلُّ عمله ظلمات، ثمّ بيَّن أشدّ أنواع الظلمات على الإنسان وهي ظلمات البحر المتلاطمة أمواجه للغريق فيه، ليبيّن أنّ من لم يوفّقه الله للإيمان فلا نور له يهتدي به في حياته فينجو[2].

ثالثًا: انفردت السورة بأبنية لأفعال وأسماء لم ترد إلا فيها، حيث انفردت بأفعال مضارعة لم تتكرّر في غيرها مثل: ﴿تُلۡهِيهِمۡ﴾ [النّور: 37]، ﴿تَمۡسَسۡهُ﴾ [النّور: 35]، ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ﴾ [النّور: 55]، ﴿يَنكِحُهَآ﴾، ﴿يَجِدۡهُ﴾ [النّور: 39]، ﴿يَضَعۡنَ﴾ [النّور: 60]، ﴿يُوقَدُ﴾ [النّور: 35]، ﴿وَيَتَّقۡهِ﴾ [النّور: 52]، ﴿تَأۡخُذۡكُم﴾، ﴿لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ﴾ [النّور: 58]، ﴿يُؤَلِّفُ﴾ [النّور: 43]، ﴿وَتَحۡسَبُونَهُۥ﴾ [النّور: 15]، ﴿وَيَحۡفَظۡنَ﴾ [النّور: 31]، ﴿وَيَحۡفَظُواْ﴾ [النّور: 30]، ﴿يُخۡفِينَ﴾ [النّور: 31]، ﴿يُخَالِفُونَ﴾ [النّور: 63]، ﴿تَدۡخُلُوهَا﴾ [النّور: 28]، ﴿تُرۡفَعَ﴾ [النّور: 36]، ﴿يَرۡمُونَ﴾، ﴿يَتَسَلَّلُونَ﴾ [النّور: 63]، ﴿وَتُسَلِّمُواْ﴾ [النّور: 27]، ﴿تَشِيعَ﴾ [النّور: 19]، ﴿وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ﴾ [النّور: 22]، ﴿وَيَصۡرِفُهُۥ﴾ [النّور: 43]، ﴿يَضۡرِبۡنَ﴾ [النّور: 31]، ﴿تُطِيعُوهُ﴾ [النّور: 54].

وكذلك انفردت بصيغ أفعال ماضية لم تتكرّر في غيرها مثل: ﴿حُمِّلَ﴾ [النّور: 54]، ﴿حُمِّلۡتُمۡۖ﴾ [النّور: 54]، ﴿أَنزَلۡنَٰهَا﴾، ﴿أَرَدۡنَ﴾ [النّور: 33]، ﴿ٱرۡتَابُوٓاْ﴾ [النّور: 50]، وكذلك أفعال أمر مثل: ﴿وَأَنكِحُواْ﴾ [النّور: 32]، ﴿فَٱجۡلِدُواْ﴾، ﴿فَٱجۡلِدُوهُمۡ﴾.

وانفردت بأبنية أسماء لم ترد في غيرها مثل: ﴿كِبۡرَهُۥ﴾ [النّور: 11]، ﴿شَهَدَٰتٖ﴾، ﴿إِكۡرَٰهِهِنَّ﴾

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 8/ 170.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 257.

[النّور: 33]، ﴿لِوَاذًا﴾ [النّور: 63]، ﴿هَيۡنَا﴾ [النّور: 15]، ﴿ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾ [النّور: 31]، ﴿مُبَرِّءُونَ﴾ [النّور: 26]، ﴿بَرۡقِهِۦ﴾ [النّور: 43]، ﴿أَبۡصَٰرِهِنَّ﴾ [النّور: 31]، ﴿ٱلۡبِغَآءِ﴾ [النّور: 33]، ﴿أَبۡنَآئِهِنَّ﴾ [النّور: 31]، ﴿ثِيَابَكُم﴾ [النّور: 58]، ﴿ثِيَابَهُنَّ﴾ [النّور: 60]، ﴿تَحَصُّنًا﴾ [النّور: 33]، ﴿ٱلۡحُلُمَ﴾ [النّور: 58]، ﴿وَٱلۡخَبِيثُونَ﴾ [النّور: 26]، ﴿لِلۡخَبِيثِينَ﴾ [النّور: 26]، ﴿ٱلۡخَبِيثَٰتُ﴾ [النّور: 26]، ﴿وَٱلۡخَٰمِسَةُ﴾، ﴿بِخُمُرِهِنَّ﴾ [النّور: 31]، ﴿خَوۡفِهِمۡ﴾ [النّور: 55]، ﴿أَخۡوَٰلِكُمۡ﴾ [النّور: 61]، ﴿دُرِّيٌّ﴾ [النّور: 35]، ﴿أَرۡبَعُ﴾ [النّور: 6]، ﴿مُذۡعِنِينَ ۝٤٩﴾ [النّور: 49]، ﴿رِجۡلَيۡنِ﴾ [النّور: 45]، ﴿كَمِشۡكَوٰةٖ﴾ [النّور: 35]، ﴿مِصۡبَاحٌۖ﴾ [النّور: 35]، ﴿ٱلزُّجَاجَةُ﴾ [النّور: 35]، ﴿زِينَتَهُنَّ﴾ [النّور: 31]، ﴿كَسَرَابِۭ﴾ [النّور: 39]، ﴿سَنَا﴾ [النّور: 43]، ﴿شَأۡنِهِمۡ﴾ [النّور: 62]، ﴿شَرۡقِيَّةٖ﴾ [النّور: 35]، ﴿بِقِيعَةٖ﴾ [النّور: 39]، ﴿صَدِيقِكُمۡۚ﴾ [النّور: 61]، ﴿صَلَاتَهُۥ﴾ [النّور: 41]، ﴿طَوَّٰفُونَ﴾ [النّور: 58]، ﴿وَٱلطَّيِّبُونَ﴾ [النّور: 26]، ﴿ٱلظَّمۡـَٔانُ﴾ [النّور: 39]، ﴿ٱلظَّهِيرَةِ﴾ [النّور: 58].

رابعًا: امتازت السّورة بكثرة ذكر بعض الأبنية الصرفيّة فيها، وهي: ﴿بُعُولَتِهِنَّ﴾؛ وردت مرّتين من أصل ثلاث مرّات في القرآن الكريم، و﴿بُيُوتٍ﴾ [النّور: 36]؛ حيث وردت سبع مرّات وهي ثلث مرّات ورودها في القرآن كلّه، ممّا يدلّل على عناية السّورة الكريمة بإصلاح البيوت الصّغيرة توطئة لصلاح بيت الأمّة الكبير، وامتازت السّورة الكريمة كذلك بذكر أربع انفرادات لفظية وهي: ﴿ٱلۡأَيَـٰمَىٰ﴾ [النّور: 32]، ﴿يَحِيفَ﴾ [النّور: 50]، ﴿مُذۡعِنِينَ ۝٤٩﴾ [النّور: 49]، ﴿لِوَاذًا﴾ [النّور: 63]، وجلّها مرتبط بشخصية المنافقين في هذه السّورة.

خامسًا: سورة النّور جاءت معظم فواصلها منتهية بحرف النّون؛ وعددها واحد وثلاثون فاصلة، وبحرف الميم؛ وعددها ثلاث وعشرون فاصلة، أمّا الفواصل الأخرى فهي عشر انتهت سبع فواصل منها بحرف الرّاء، والباء؛ وجاءت في فاصلتين، واللّام؛ في فاصلة واحدة، وفي دلالة ألفاظ وفواصل الآيات معان تتوافق مع وحدة السّورة وهداياتها التربوية.

سادسًا: امتازت السّورة الكريمة بذكر بعض التّراكيب والتّعابير التي تكرّرت فيها، ومن أمثلته: قوله: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ﴾ حيث ذكر هذا التّركيب أربع مرات[1]، وقصد منه تذكير المخاطبين بفضل الله عليهم ورحمته بهم، سواء أكان ذلك في سياق التيسير عليهم أم في الحدود التي فرضها الله لتنظيم حياتهم، وتطهير قلوبهم

(1) الآيات من سورة النّور: 10 - 14 - 20 - 21.

من الفواحش وتزكيتها، فضلًا عن تكرّر (لَوْلا) في هذه السّورة سبع مرّات يُذكر فيها جوابها أحيانًا أو يُحذف[1].

وكذلك تكرّر التركيب: (يبيّن الله)، أربع مرّات في السّورة، وفي كلّ مرّة كان يبيّن علّة هذا البيان من خلال ربطه ﷻ له بأسمائه الحسنى، ففي أثناء تعقيبه على حادثة الإفك قال: ﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النّور: 18]، وفي نهاية الحديث عن أحكام الاستئذان الدّاخليّ في البيوت قال في آيتين متتابعتيْن: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النّور: 58]، وبعد بيان من يحلّ الأكل معهم ومجالستهم عقّب قائلًا: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [النّور: 61]، ولا شكّ أنّ هذا البيان مرتبطٌ تمامًا بمحور السّورة ومقصودها التّام الذي بدأته بوصفها لآياتها بقوله تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

بيان المناسبة بين السّورة وسابقتها ولاحقتها:

سـورةُ (النّـور) رغـم مدنيّتـها إلّا أنّها متّصلة تـمام الاتّـصال بـالسّـور المكّيّة المجاورة لها

ذكر ابن الزّبير الغرناطيّ في سبب ارتباط سورة النّور بسورة المؤمنين أنّه لمّا قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ﴾ [المؤمنون: 5]، ثم قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: 7]، استدعى الكلامُ بيانَ حكم العادين في ذلك، ولم يُبيّن فيها، فأوضحه في سورة النّور فقال تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى﴾ الآية، ثمّ أتبع ذلك بحكم اللّعان والقذف، وانجرّ مع ذلك الإخبار بقصّة الإفك تحذيرًا للمؤمنين من زلل الألسنة رجمًا بالغيب ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النّور:15]، وأتبع ذلك بوعيد محبّي شيوع الفاحشة في المؤمنين بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [النّور: 23]، ثمّ بالتّحذير من دخول البيوت دون استئذان

(1) الآيات: 10، 12، 13، 14، 16، 20، 21.

مشروع، ثمّ بالأمر بغضّ البصر للرّجال والنّساء، ونهي النّساء عن إبداء الزّينة إلّا لمن سمّى اللّه سبحانه في الآية، وتكرّرت هذه المقاصد في هذه السّورة[1]، وعلّق السّيوطيّ على هذا الرّبط بقوله: ولا ارتباط أحسن من هذا الارتباط، ولا تناسق أبدع من هذا النّسق[2].

وأمّا وجه ارتباطها بسورة الفرقان فيقول أبو حيّان: "إِنَّهُ لَمّا ذَكَرَ في النّور وُجوبَ مُبايَعَةِ المُؤْمِنينَ لِلرَّسولِ وأَنَّهُم إذا كانوا مَعَهُ في أَمرٍ مُهِمّ تَوَقَّفَ انْفِصالُ واحِدٍ مِنْهُم على إِذْنِهِ، وحَذَّرَ مَنْ يُخالِفُ أَمرَهُ، وذَكَرَ أَنَّ لَهُ مُلْكَ السموات والأَرْضِ، وأَنَّهُ تَعالَى عالِمٌ بِما هُم عليه ومُجازيهم على ذَلِكَ، فكانَ ذَلِكَ غايَةً في التَّحْذيرِ والإِنْذارِ، ناسَبَ أَنْ يَفْتَتِحَ سورة الفرقان بِأَنَّهُ تَعالَى مُنَزَّهٌ في صِفاتِهِ عَنِ النَّقائِصِ كَثيرُ الخَيْرِ، ومِنْ خَيْرِهِ أَنَّهُ نَزَّلَ الفُرْقانَ على رَسولِهِ مُنْذِرًا لَهُم؛فَكانَ في ذَلِكَ إِطْماعٌ في خيره وتحذير من عقابه"[3].

وأضاف المراغيّ بعض وجوه الرّبط الأخرى بين السّورتيْن وهي:

أوّلًا: الإحالة على أنّه سبحانه اختتم سورة النّور بكونه مالكًا لما في السّماوات والأرض مصرّفًا له على ما تقتضيه الحكمة والمصلحة مع النّظام البديع والوضع الأنيق، وأنّه سيحاسب عباده يوم القيامة على ما قدّموا من العمل خيرًا كان أو شرًّا، وافتتح الفرقان بما يدلّ على تعاليه في ذاته وصفاته وأفعاله وعلى حبّه لخير عباده بإنزال القرآن لهم هاديًا وسراجًا منيرًا.

ثانيًا: وأنّه اختتم سورة النّور بوجوب متابعة المؤمنين للرّسول ﷺ مع مدحهم على ذلك وتحذيرهم من مخالفة أمره خوف الفتنة والعذاب الأليم، وافتتح الفرقان بمدح الرّسول وإنزال الكتاب عليه لإرشادهم إلى سبيل الرّشاد، وذمّ الجاحدين لنبوّته بقولهم: إنّه رجل مسحور، وإنّه يأكل الطعام ويمشي في الأسواق إلى آخر ما قالوا.

ثالثًا: وأنّ في كلٍّ من السّورتيْن وصفًا للسّحاب وإنزال الأمطار وإحياء الأرض الجرز.

رابعًا: وأنّه ذكر في كلٍّ منهما وصف أعمال الكافرين يوم القيامة وأنّها لا تجزيهم فتيلًا ولا قطميرًا؛ فقال في الأولى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ﴾ [النّور: 39] الآية، وقال في هذه: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ٢٣﴾ [الفرقان: 23].

(1) الغرناطيّ، البرهان في تناسب سور القرآن، ص: 259 - 260.
(2) السّيوطيّ، تناسق الدُّرر، ص: 112.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 79.

خامسًا: وأنّه وصف النّشأة الأولى للإنسان في أثنائهما، فقال في الأولى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ [النّور: 45]، وفي الثانية: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ [الفرقان: 54][1].

(1) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 18/ 145.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والثلاثون،
سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والثلاثون، سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 36 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-79-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 36 : المجلد السادس والثلاثون، سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-78-5
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-8956803 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»